كلية اللغة العربية بأسيوط
المجلة العلمية

تجارب فهم القرآن وإعجازه
في
ضوء اللسانيات الحديثة
محاذير ومخاطر

إعداد

أ.د/ محمود حسن مخلوف

أستاذ البلاغة والنقد
في كلية اللغة العربية بأسيوط

(العدد الثامن والثلاثون الجزء الثالث ٢٠١٩م)

ملخص مقال (تجارب فهم القرآن وإعجازه في ضوء اللسانيات الحديثة) محاذير ومخاطر

هدف المقال :

فتح أبواب الحوار، كتنبيه عقول شبيبة الباحثين لما يحاك لنا من مخاطر وإرشادهم إلى كيفية استبانة الأخطار بأنفسهم ، ثم تحصينهم ضدها ـ لم يثبت في تصنيف علمي معتمد أن أتباع الألسنيات من العرب قد أسهموا في صنع مدرسة ألسنية في أي طور من حياتها ، وإنما هم . وللأسف ـ مجرد ((شاشا عرض)) فقط لما يبث فيها من هناك .

*- مدارس الألسنية : مثلها مثل مذاهب النقد قبلها ، لم تحيا مدرسة فيها أكثر من عقدين من الزمان ، ثم ورثتها مدرسة أخرى لتلحق بسابقتها بعد الفترة ذاتها "والفضلاء"، عندنا ما زالوا يقلدون الحي والميت منها، ولا يخجلون ، بل يتباهون .

*- هناك قواسم إبانة مشتركة بين كل اللغات المتمدنة ، وهناك خصائص مائزة لكل لغة منها ، فلا يمكن لمنهج تحليل مستنبط من لغة أن يستخرج كل دلالات وإيحاءات نص من لغة أخرى .

*- إذا تعذر هذا في تحليل النصوص البشرية = فإنه في تذوق وتحليل النص القرآني مستحيل ... وعليه : فكل ما كتب من بحوث ألسنية حول نصوص قرآنية محكوم عليه مسبقاً بالفشل ، لأنه تنكب السبيل السوي ، إذ لا تفتح كنوز القرآن المنزل (بلسان عربي مبين)إلا بمفتاح علوم القرآن والعربية .

*- لكيلا تدخل القضية في دائرة الجدل العقيم ـ أعاذنا الله منه ـ يقدم المقال عدة نصائح هادئة لمن يفكر في صنع بحوث قرآنية في ضوء هذه المناهج = أن يراجع الباحث نفسه ، ويراجع ما كتب مراراً ، بموازنته مع خلاصات من كتب

التفسير المعاصر المعتمدة ،حتى يتسببن فوارق الفهمين في ترسيخ أو هدم أصول الإسلام ، المتفق عليها عند أئمته ...

مع دعائى للجميع بالهداية والتوفيق

Article summary (Experiences of understanding the Qur'an and its miracle in the light of modern linguistics)

Warnings and dangers

The goal of this article is to open the doors of dialogue, such as alerting the minds of young researchers to the dangers that we have, and guiding them on how to identify dangers themselves, and then immunizing them against it.

It has not been proven in an accredited scientific classification that the followers of linguistics from the Arabs have contributed to the making of a linguistic school in any phase of its life, but they are - unfortunately - just ((display screens)) only when it is broadcast there.

– *Schools of linguistics: Like the doctrines of criticism before it, did not live a school in which more than two decades, and then another school inherited it to catch up with the previous one after the same period, "The Decent", when we still imitate the living and the dead of it, and not be ashamed, but boast.

– *There are common denominators between all civilized languages, and there are favorable properties for each of them. A method of analysis drawn from a language cannot extract all the connotations and revelations of a text from another language.

– *If this is not possible in analyzing human texts = it is impossible to taste and analyze the Qur'anic text ... and accordingly: all the written literature on Qur'anic texts is already doomed to failure, because it gives way to the proper way, as it does not open the treasures of the Qur'an that was revealed (with a tongue Arabic Shown) except with the key to Qur'an and Arabic sciences.

– *In order not to enter the issue in the circle of sterile controversy - may God protect us from it - the article provides several quiet advice for those who think about making Quranic research in the light of these approaches = for the researcher to

review himself and review what he wrote repeatedly, in his balance with the summaries of the books of contemporary interpretation adopted, even The differences in understanding lead to the consolidation or demolition of the foundations of Islam, agreed upon by his imams…

With my prayers for everyone, guidance and success

تجارب فهم القرآن وإعجازه في ضوء الألسنيات الحديثة " محاذير ومخاطر

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه.... وبعد :

فليس هدف المحاضرة الإلقاء للتلقين ؛ إن أكثر الحاضرين في مستوى أساتذتي ، وزملائي ، ودارسين تتوافر فيهم النباهة ، والذكاء ، ودقة النظر .

إنما هدف المحاضرة : فتح الحوار ، وتنبيه عقول شبيبة الباحثين لمعرفة ما يحاك لنا ، وكيفية استبانة الأخطار ، ثم تحصين عقول الدارسين من شرورها.

المقصودون بالخطاب : كل الحاضرين ؛ لأننا ـ والحمد لله ـ مازلنا فى عافية من هذا البلاء ... أما مَنْ رسخت هذه المناهج فى عقولهم ، وتمكنت من قلوبهم ، فقد صار الأمر عندهم عصبية لا تقبل النقاش ، بل وصل الأمر لدى أكثرهم إلى ما يشبه الاعتقاد عند المتدينين .

ولا أدّعى هذا دون بينة : فقد لقيت أستاذين عتيقين فى هذا المجال : أولهما "د/ قاسم " شيعي ، عراقي ، يقيم إقامة شبه دائمة فى إسلام آباد !!.

سمعت الثناء الفخم عليه مرارًا من شخوص علميين ودبلوماسيين ... وفى ثنايا حوار ثُنائي قال : عن كل من فسَّر القرآن ـ قديمًا وحديثًا ـ إنه لم يصب الحقيقة ... لأنهم لم يكونوا على علم باللسانيات !!! فلما طالبته بنماذج شاهدة لما يقول : ألفيته لا يعرف عن التفسير والمفسرين شيئًا يؤهّله للحكم عليهم ، وقديماً قالوا : " الحكم على الشئ فرعُ عن تصوّره " فكيف حكم على ما لا يعرف، ومن لا يعرف؟!.

ثاني الأستاذين : هو الدكتور / صلاح فضل ، الذى كان ضيف شرف مؤتمر كلية الآداب ، جامعة أسيوط فى أبريل / ٢٠١٦م ، وكنت مشاركًا فى المؤتمر ، فحضرت له محاضرة افتتاح المؤتمر ، وكان مما قال : كان أسلافنا أكثر

انفتاحًا منا على ثقافات الأمم ، حيث أفاد " سيبويه " من " بانيني " السنسكريتي ، وما أفاد " عبد القاهر " من " أرسطو " ... إلخ .

وفى اليوم التالي : جمعني القدر معه فى مكان واحد ، فتلطفت معه قائلًا: أعجبت أمس بما قلتَ من أن العلم لا يبنى إلا على الحقائق ... فهل توجد حقيقة واحدة تثبت أن سيبويه أخذ عن بانيني ؟ وأن عبد القاهر أخذ عن أرسطو؟ فقال : ربما يكون فى كارثة إلقاء التتار مكتبة بغداد فى نهر دجلة كتب تثبت هذا ... فقلت : إلى أن تظهر هذه الكتب يبقى الأمر ظنًا لا دليل عليه، لا يلقي من محاضرة علمية عامة على ألف عقل من الجامعيين ... فافتعل الرد على " المحمول " ، فتركني ، وابتعد عني كيلا نكمل الحوار !! ، فلا حديث مع من وصل إلى هذه الدرجة ، ولا مع مَنْ اقتنع بأنه صنع أو صُنع ألسنية عربية تحت أية راية من رايات مدارسها، فزعموا تكوين أسلوبية عربية ، أو بنيوية عربية ، أو حداثة عربية ... إلخ .

لأنه لم يثبت هذا فى أي تصنيف علمي معتمد ، فقرأنا عن الأسلوبية السوسرية ، والفرنسية ، والألمانية ، والأسبانية ... ولم نقرأ أبدًا عن الأسلوبية العربية وأقطابها ، ومؤلفاتهم ، وكذا فى بقية المدارس الألسنية .

أتباع الألسنيات من العرب لم يزيدوا عن كونهم "شاشات عرض" فقط لما يبثّ عليها من لندن ، وباريس ، وبرلين ، وموسكو ، ومدريد ، وروما ... على أن لكل بلدٍ من هذه البلاد سمات تنفرد بها فى دراسة الأسلوبية، أو البنيوية، أو الحداثة ، بل إنها لتتطور فى كل عقد زمني تقريبًا .

فعمّن نأخذ ؟ ومَنْ نقلد ؟ وكيف نتابع ؟ وهل مما يرضى العقلاء أن نظلّ نتابع ، ونلهث ، ونقلّد إلى ما لا نهاية ؟

إننا بعد قرابة المائة والخمسين عامًا الأخيرة وما زلنا نلهث وراء من زعموا

التجديد، ودعوا إليه تحت رايات إنجليزية ، وفرنسية ، وألمانية ، وإيطالية ولم تُفِد بلادنا وشعوبنا إلا مزيدًا من التأخر ، والتقهقر فى كل المجالات ، فكفانا خداعًا وانخداعًا ...

ومن زعم أنه جدّد تجديدًا حقيقيًا ، أو صنع منهجًا ألسنيا عربيًا فلْيخرج علينا به ، وليعدِّد لنا آثاره فى محيط الدراسات الجادة ، ولا يخدعنا أن كثيرًا من عناوين الدراسات تشير ظواهرها إلى تطبيق مناهج ألسنية على نصوص عربية ، عتيقة أو معاصرة ... لا يخدعنا هذا ... لأنه كله موجّه ممن تسلّطوا على مواقع توجيه الدراسات الجامعية ، والمؤتمرات العلمية ، والمجلات الأدبية ، ومراكز الثقافة والإعلام ... وأكثر هؤلاء وأولئك موظفون لدى جهات مشبوهة ، تنفق الملايين لطمس هوية الأمة ، وفرض ثقافتهم اللغوية ، والأدبية ، والعلمية ولا يخفي هذا كله على من به طِرْق ...

ثم إن غير قليل من المدارس تتضمن كثيرًا من المبادئ الغامضة اللامفهومة ، حتى عند صنّاعها ، فكيف تكون مفهومة عند مَنْ يُلقَّنونها ؟ (١)

والأدهى من كل هذه الدواهي : أن كل مدارس الألسنية لم تعمّر فى بلاد نشأتها أكثر من عقد أو عقدين ، ثم ماتت وورثتها مدرسة خرجت من رحمها ؛ لأن عقولهم ربِّيت على الأنَفة من التقليد والتبعية ، على عكس حالنا !!

---

(١) تجد تفصيلًا لهذا فى الثلاثية القيمة [المرايا المحدبة ، المرايا المقعرة ، الخروج من التيه] التى دبّجها يراع د/ عبد العزيز حمودة . رحمه الله . وهو الخبير بمسالك ، عاش فى جنباتها أربعين عامًا أو تزيد ، كما تجد هذا عند الدكتور المعظم / محمود الطناحي ، فيما أثبته فى موقعه على " النت "، والذى حكى فيه قصة مقرر "النحو"، المترجم على ابنته الجامعية ، هذا المقرر الذى عجز الأستاذ الكبير عن فهمه ليفهمه لابنته ، وكانت الطامّة حين اتصل بأستاذ المادة ليسترشده ، فأخبره بكل صراحة : بأنه لا يفهم ما فى المقرر ، وإنما فُرض عليه أن يشرحه لطلابه ، فهو يُلقِّنه كما لُقِّنه !!! .

وبعد قليل تموت الثانية لترثها أخرى ... وهذا فيما يعرف بتهالك المذاهب أو ثورات المدارس ... فمن البلاء المضحك بعد هذا أن يبقى من " الفضلاء " من يطنطن لهذه المذاهب التى ماتت فى بلاد نشأتها منذ قرابة نصف قرن ، أو يزيد.

وقد سمعت في محاضرة لبعض أهل العلم : أن د/ سهير القلماوي . وهي ممن لهم شأن عند هؤلاء . قالت : إننا لا يصدَّر لنا من أوربة إلا ما انتهى تاريخ صلاحيته عندهم ... أي فى الأفكار والصناعات !!!

فهل فى هذا الوافد ما يصلح أن يُدْرس ويُصطنع منه مناهج نطبقها فى التحليل ؟ ... هنا يجب التذكير بعدة مسلمات قبل الإجابة المباشرة :

. توجد قواسم إبانة مشتركة بين كل اللغات المتمدنة ، متولدة من الفطرة الأولى التى أودعها الخالق . سبحانه . فى الإنسان يوم خلقه ﴿ خَلَقَ الإِنسَانَ عَلَّمَهُ البَيَانَ ﴾ (الرحمن ٣، ٤) .

. توجد عناصر خاصة فى الإبانة لدى كل لغة متحضرة .

. فى اللغة العربية توجد خصائص إبانة مائزة عن غيرها من اللغات ، كما أثبتها الأستاذ العقاد . رحمه الله . فى كتابيه " اللغة الشاعرة " و " أشتات مجتمعات " ، يجب أن يعيها الدارسون قبل التذوق والتحليل .

فى ضوء هذه الحقائق يكون تطبيق منهج ألسني مستنبط من لغة أوربية على النصوص العربية فيه نوع من المجازفة المفسدة المشوِّهة ؛ لأن هذا التحليل لن يرصد كل دلالات المفردات والتراكيب والصور وإيحاءاتها ... وكفى بهذا خللاً فإذا كانت مناهج هذه المدارس الألسنية لا يمكن بناء تحليل نصوص عربية بشرية عليها = فهل يمكن أن تُحلَّل فى ضوئها نصوص من التنزيل المعجز ؟

قبل الإجابة المباشرة على هذا السؤال يجب استحضار المسلمات الآتية:

ـ أُنزل القرآن (بلسان عربي مبين) آية ١٩٥ الشعراء، فجاء فى أرقى

مستوى لغوي معجز؛ لتضمن نظومه من المعاني مالا يتحمله بيانٌ بشري قطّ .

ـ للقرآن علوم مستنبطة منه ، تدور حوله من جهات عديدة ، فلابد لدارس القرآن من إتقانها ليكون أهلاً لفهم القرآن ودلائل إعجازه ؛ لأن أئمة هذه العلوم عكفوا على تدبر القرآن من يوم نزوله ، فاستقصوا ـ بوعي ـ حروفه ، ومفرداته ، ونظومه ، وأحكامه ، وقصصه ، ومواعظه ، وحججه ، ودلائل إعجازه ... وقد تواتر المئات منهم على هذا المهيع اللاحب : استنباطًا ، وتحقيقًا وتحريرًا ... فى دأب لم ، ولن ينقطع ؛ لأن عجائب القرآن لن تنقضي ، وسوف يرفع إلى ربه فى أخر أيام الدنيا غضًا كيوم أُنزل .

ـ يعاند المستشرقون والمستغربون ، فيصرون على إقحام مناهج الدراسة اللغوية والأدبية الأوربية على القرآن من بواكير عهد د/ طه حسين وأ/ أمين الخولي ، ود/ خلف الله ... ثم خمدت الفتنة لأسباب عامة وخاصة ؛ لتنشط فى سبعينات القرن الماضي ، فظهرت بحوث طبَّق فيها على القرآن مناهج الأسلوبية ، والبنيوية ، والسيميائية ، والقراءة الجديدة ... وكلها دراسات محكوم عليها بالفشل مُسبقًا ؛ لأن أصحابها لا معرفة عندهم بلغة القرآن ، وعلومها ، إلا ما درسوه من مقررات سطحية فى سني الدراسة .

وأقصى ما وصلوا إليه في دَرَج تعلّمها هو النظر السطحي فى كتاب تراث قد يحسنون قراءته ، وغالباً مالا يحسنون !! قد يحسنون فهمه ، وغالباً ما يسيئون !! قد يعيدون قراءته للتثبت ، وغالباً ما يستكبرون !! قد يراجعون البديهة الأولى ، وغالبًا ما يستنكفون !!

وبهذه البضاعة المزجاة التى تعدل نصف ما يحصله طالب متوسط المستوى فى جامعة الأزهر = يتجرؤون على قراءة القرآن ، وبيانه ، وأحكامه ، ويهرفون بما لا يدخل فى دوائر العلم بأي حال ؛ لأن نتائجهم غير مضبوطة بقواعد

العلم الصحيح ؛ لأنهم لم يتعلموه ، وغير مضبوطة بقواعد التفكير العقلي السديد ؛ إذ تحكمهم أهواء جامحة ، متسلطة ، فينظرون بإحدى عينيهم فى تراثنا، وعينُهم الأخرى حائرة بين لندن ، وباريس ، وبرلين ، وروما ، ومدريد وأخواتها ...

اقرأ ـ لكي توقن بصدق ما أقول ـ لأركون الجزائري ، ونصر أبي زيد المصري ، وشحرور السوري ، وعابد الجابري المغربي ، والغنوشي التونسي ومن على شاكلتهم فى الهند ، وتركيا ، وإيران ... = تجدهم جميعاً يَمْتحون من عينٍ واحدة ، ويرددون كلاما متشابها ، ويسيرون فى اتجاه واحد ، هو اتجاه "تدنيس المقدّس" عن طريق تأويل " عبثي " لنصوص القرآن الكريم .

يتظاهرون بإتباع المناهج الحديثة فى القراءة [1] والتأويل ... وكذبوا ، فكلهم ينفّذون برامج ومخططات صليبية صهيونية لتفريغ القرآن من معانيه الإلهية ، و " تمييع " أحكامه ومقرراته العقدية والتشريعية والسلوكية ، وتحويله ـ بالقراءات " التأويلية الحديثة " إلى مدونة فلسفات شاذة ، وشطحات هائمة ، وهرطقات متنافرة ، وضلالات متناقضة ، وكل هذا لا يتم إلا بالبعد بالقرآن عن سَنَن العرب فى كلامها ، المنزّل به القرآن العظيم ، وإبعاده عن قواعد تفسيره ، وعدم اشتراط ما يؤهل لتفسيره، مما سمّى شروط وآداب المفسِّر ، لأن هذه الثلاثة تبطل سحر أولئك

(١) لكي أثبت لك أنهم جميعا " ألسنة شتى فى دماغ واحد " على حدّ تعبير شيخي محمد أبي موسى ، أذكر لك ما حضرته فى باكستان ، فى الجامعة الإسلامية هناك ، حيث دعينا بإلحاح وتشديد إلى حضور محاضرة مهمة جدًا ، فى قاعة المكتبة المركزية للجامعة ، سوف يلقيها علينا أستاذ ضيف ، فذهبنا ، وقبيل المحاضرة طُلب مني تقديم الضيف ، فلما وزِّعت علينا مطوية التعريف بالضيف والمحاضرة نظرت فيها ، فإذا هي بالأردية والإنجليزية ، فطلبت من صاحبي ترجمتها ، فعرفت أن الأستاذ المحاضر مسلم هندي " متأمرك " وأن المحاضرة كلها تدور حول ضرورة القراءة الجديدة المعاصرة للقرآن فى ضوء " التأويل " الحداثي ، ففزعت ، وخشيت أن أكون أنا من أدوات المؤامرة ، فجعلت تقديمي كله فى التحذير الصراح من أفكار المحاضرة ، وخطرها على الفكر الإسلامي ، وعلى حقائق الإسلام الراسخة .

المضلِّين ، وتقضي على مشروعهم اللعين فى القضاء على القرآن الكريم ، أصل الإسلام ، ودستور المسلمين ، ورمز وحدتهم ...

وليس ما يفعله " الحداثيون " العرب من القراءة الغير منضبطة شيئًا محدثا ، بل يشهد التاريخ بأن لهم آباء ضلالاً فى فرق " الباطنية ، وغلاة الشيعة" الذين حوّلوا نصوص القرآن بتأويلهم الفاسد إلى ما يخدم عقائدهم الزائغة ، وسلوكياتهم الفاسقة .

وإنى بكل اطمئنان أبشّر " الباطنية الجدُد " بمصير " الباطنية الأقدمين " فى مواكب الهالكين ، لأن هذا الكتاب الحكيم الخالد قد تولى حفظه الله ـ جلّ فى علاه ـ ووعد بهذا الحفظ فى أسلوب موثق (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) آية ٩/ الحجر، ولكنه الابتلاء لنا ، والاختبار لصدقنا ، وإخلاصنا ، وجهادنا ، ووفائنا بحقوق هذا الدين المؤتمنين عليه .

وأوصى إخواني بوصاتين :

أولاهما : أن يراجعوا كلام من خبر هؤلاء ، وكشف تدليساتهم من الدارسين المحققين ، مثل د/ قطب الريسوني فى كتابه " النص القرآني من تهافت القراءة إلى أفق التدبير" ، ود/ إدريس الطعّان فى مقالاته على " جوجل " عن " تدنيس المقدس " ... ففي هذين : إشارات ، وإحالات ، وتحقيقات تشفى ، وتحصِّن من هذا الضلال المبير .

والأخرى : أن يحْمل إخواني أنفسهم على الصبر الطويل على تجرّع قراءة عثاثات هؤلاء ، فغير قليل من أهل العلم لا تطيق نفسه قراءة هذه الثرثرة المتفيهقة ، اعتمادًا على قاعدتهم : " لا يردّ خطأ إلا على من له صواب يؤخذ عنه " ، ولكن طعن هؤلاء الملاحدة فى حقائق القرآن يوجب على من له عقل وجهد أن ينْفِر إلى هذه الساحة المقدسة ، ليدفع عن أصل الإسلام ، ودستور المسلمين .

ومن الغريب المدهش: جرأة هؤلاء الحداثيين العرب ؛ إذ إن أئمتهم فى الضلال من المستشرقين كانوا ـ غالبًا ـ مّا يحرصون على ستر عورات ضلالاتهم بتمويهات فيها شوب من الحقيقة ، أما هؤلاء فقد حرصوا على أن يسقط " ورق التوت " كله عن عورات ما يتبجحون به ، و(مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى : إذا لم تستح فاصنع ما شئت) .

وأهمس فى آذان إخواني :

إذا وسوس لك شيطان حداثي بتطبيق منهج ألسنيّ فى فهم القرآن ، أو درس إعجازه ، الذى لا يؤمنون به ، فأنصح لك بنصيحتين :

الأولى : أن تراجع الأصول الفلسفية العامة للمدرسة التى تروم تطبيق منهجها ، اقرأ عن " الحداثة " مثلاً عن د/ عبد الوهاب المسيري ؛ لتصدم بأن ثاني مبادئها الفلسفية القطيعة مع الماضي ، بكل مقوماته ، ومكوناته : من أديان وأخلاق ، وقيم صحيحة موروثة .

الأخرى : أن تكثر من مراجعة ما تكتب ، مستضيئًا بكلام أهل الرشد والرسوخ ، فإني على يقين من أنك سوف تخجل من إظهار ما كتبت ؛ كيلا تفضح عقلك ...

ثم إنّ لك مواعظ فى تجارب " الرواد الأفاضل " مثل / طه حسين ، والعقاد ، وزكي نجيب محمود ، وعبد الرحمن بدوي ... وعشرات غيرهم ، ممن خدعتهم أضاليل الاستشراق المبهرجة ، ثم فاءوا إلى رشدهم فى عقودهم الأخيرة .

أعود إلى قضيتنا الرئيسة :

" تطبيق منهج ألسنّي على القرآن الكريم " ، وأدعوك . إن كان لديك إصرار على أن تفعل ، أو كنت قد فعلت ... فأنصح لك نصيحة هادئة : أن تجمع ما كتبت عن سورة ، أو مجموعة آيات ، وتكتب خلاصة تحليلك فى صفحتين ، أو ثلاث ...

ثم اجمعْ من تفسير الطاهر ، أو مخلوف ، أو الزحيلي ، قدْر ما جمعت من قراءاتك الألسنية ... ثم وازن بين الخلاصتين مرات ، وبهدوء ، وتجرد وصدق ...

ثم اسأل نفسك المجردة عن كل هوى :

ما القدر المشترك بين القراءتين ؟ وما الفوارق الفاصلة بينهما ؟

ثم : هل استطعت أن تستخلص من أصول الإسلام شيئاً بقراءتك الألسنية؟ فإن وجدت فأرنا إياه ..

وإن لم تجد ، أو جدتَ ما يزّهدك، أو يشكك فى هذه الأصول = فاحكم بنفسك على منهج يدخلك دائرة الشك فى أصول الإسلام ، بعد أن اقتديت بأهل الإلحاد فى فهم كلام الله .

فإنْ قال دارس : هذا بحثي بين أيديكم ، ليس فيه كلمة واحدة تخالف قواعد الإسلام ...

فقل له : أجلْ ... هو ذا ؛ لأنك لم تطبق المنهج كما أصّل واضعوه ، وصنعه سدنته ...

بل طبّقت النسخة العربية من المنهج ، التى اجتهد فى تقريبها وتجميلها فلان المغربي ، وفلان المصري ، تبعًا للتيار المخدوع الخدّاع " الأصالة والمعاصرة .

وهو التيار الأوسط للمستشرقين فى القرن العشرين ، بين التغريب الصارخ فى أوائل القرن العشرين ، والعولمة المتغطرسة فى أواخره .

واقرأ لتدرك خطورة هذا التيار عند أبي موسى ، وحمودة ، وشكري عزيز الماضي ، وآخرين .

يكفي بحثك أيها الحبيب :

أنه قرأ بيانًا عربيًا مبينًا بعقول إنجليزية ، أو فرنسية ، أو ألمانية ، أو أسبانية ولا يجرؤ مَنْ به طرْق ـ أي بعض عقل ـ أن يزعم أن هذه العقول بمناهج ألسنيتها يمكنها استخراج دلالة القصر الحاسم على وحدانية الله من آيات: (فاعلم أنه لا إله إلا الله) محمد/ ١٩، (إنما إلله إله واحد)النساء ١٧١ ولا استخراج دلالة اليقين الكامل من أساليب (وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب) هود/٨٨ .

ولا استخراج التشريع العام الحاسم من دلالة اللام المستغرقة فى آيتي (الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة) النور/ ٢ (والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما ...) المائدة/ ٣٧ .

ولا استنباط كون الوصف (مؤمنًا) سببًا فى الحكم (خالدًا فيها) فى آية: (ومن يقتل مؤمنًا متعمدًا فجزاؤه جهنم خالدًا فيها)النساء/ ٩٣ .

وأدُلُّك على ما يحسم هذه القضية إن كان قد بقى فيه تردد :

خُذْ خمسة تراجم لمعاني القرآن بلغات مختلفة ، مما شهد له المحققون بالإتقان والدقة ، وقارن كلام المترجمين فى الآيات الست السابقة بكلام الزمخشري ، والطاهر بن عاشور = بعد المقارنة سوف تتكشف لك الحقيقة كالشمس فى رابعه النهار . [1]

(١) لقد حضرت مؤتمرًا فى الجامعة الإسلامية بإسلام آباد ـ باكستان ـ بعنوان "إشكاليات تراجم معاني القرآن" وجاءت عشرات البحوث لرصد هفوات كبار شيوخ الترجمة عن توفية الدلالة القرآنية ، سواء كانت الترجمة إلى الفارسية ، أو الأردية أو البنجابية ، أو البشتوية ، أو

وجلّ هؤلاء المترجمين ـ خاصة فى شبه القارة الهندية ـ علماء كبار ، مجتهدون جدًا فى فهم علوم العربية ، قد أمضوا فى ترجماتهم سنين عمل طويلة ، ولم يستندوا أبدًا إلى منهج أوربي ، لأن معظمها قد أُكمل قبل ظهور مدارس الألسنية بعقود .

فكيف حالك أيها الباحث الشادي مع قلة العلم ، وعجلة الوقت ، وآفات الشواغل ، التى تجعلك ـ فى أحسن الأحوال ـ بربع عقل ، وربع إدراك ، وربع مراجعة ... وآفتك الكبرى اعتمادك على منهج ألسنّي ، مستنبط من لغة مخالفة للعربية فى غير قليل من الأصول والفروع .

فإذا أبصرت الحقيقة بعد هذا كله فمن توفيق الله إياك ... وإلا فما عندنا إلا الاسترجاع ، والحوقلة ، والحسبلة فيمن ألقاك فى هذه المهلكة المبيرة .

يا مسكين : المصيبة فادحة ، والخطب جلل ، والهلاك متيقن ، فلا يخدعنّك صخب الجُوقه ، ولا بهرجة التزيين ، ولا خداع التضليل .

البنغالية ... وكل من ترجم إلى هذه اللغات علماء متضلعون فى اللغتين ... أما مَنْ كان بحثه عن ترجمات معاني القرآن إلى الإنجليزية فالملحوظات عليها أضعاف ما على الترجمات السابقة ، مع أن شبه القارة الهندية ترتيبها فى إتقان الإنجليزية بعد الإنجليز والأمريكان مباشرة .

وأختم بكل صراحة صادعة :

لقد أجمع أئمة علوم القرآن ـ من عصر الصحابة إلى الآن ـ على أنه: لا يجوز فهم القرآن ، ولا درس إعجازه إلا فى ضوء سَنَن العربية المبينة ، والعلوم المستنبطة من القرآن المسماة " علوم القرآن " .

نسأل الله ـ لنا ولك ـ التوفيق والسداد .

محمود حسن مخلوف

ضحى الجمعة ٤ ربيع الأول ١٤٤١هـ

١ نوفمبر ٢٠١٩م

كتب ينصح بقراءتها لمن يتشوق إلى المزيد :

. رسالة الطريق إلى ثقافتنا ، وأباطيل وأسمار للأستاذ / محمود محمد شاكر .

. شروط النهضة ، وآفاق جزائرية للأستاذ / مالك بن نبىّ .

. حصوننا مهددة من داخلها ، د/ محمد محمد حسين .

. مقدمات كتب ، د/ محمد محمد أبى موسى .

. المرايا المحدبة ، المرايا المقعرة ، الخروج من التيه ، د/ عبدالعزيز حموده .

. الفكر الغربي الحديث ، وأثر الاستعمار فيه ، د/ محمد البهىّ .

. الحداثة ، د/ عبد الوهاب المسيرى .

. النص القرآني من تهافت القراءة إلى أفق التدبير ، د/ قطب الريسوني.

. تدنيس المقدس ، د/ إدريس الطعّان (مقالات على جوجل) .

. الكتاب والقرآن ، د/ شحرور .

. تأويل النص ، د/ نصر حامد أبو زيد .

. الكتاب والقرآن ، أركون .

هوامس خلفيات المحاضرة :

أ ـ طرق الدمار الفكري :

ـ البعثات العلمية ، ودورها فى فرض اتجاهات ومناهج .

ـ المؤتمرات المشبوهة ، وتوجيه العقول إلى أودية " الضلال " .

ـ التوجيه الخفي الشرس لمقررات الدراسات الجامعية .

ب ـ فى القرن الماضي تمت خطوات التبعية الفكرية لأوروبة :

ـ تم تصدير المذاهب النقدية إلينا فى النصف الأول ، ثم المدارس الألسنية فى النصف الثاني ، ومازلنا فى موقع المستوردين .

ـ أصبحنا منذ أكثر من قرن ونصف مجرد شاشات عرض لأفكار الآخرين.

ـ لا يصدّر إلينا إلا ما انتهى تاريخ صلاحيته فى منشئه .

ـ لم نستطع خلال قرن وربع من التبعية أن نصنع منهج تحليل أدبي واحد .

ـ كل من زعم هذا مثل " أبي ديب " وغيره ، فالواقع يشهد عليه .

ـ حاول " حموده " نصع نظرية لغوية عربية ، وأخرى أدبية ... ولكنه لم يجد الدعم العلمي ، والإعلامي ... بل حورب بشراسة ـ رحمه الله .

ج ـ سبيل النجاة : (**نظرية وتطبيقات**)

ـ " التذوق " منهج تحليل عربي نظّر له محمود محمد شاكر ـ رحمه الله ـ .

ـ تطبيقات أبى موسى بتذوق نصوص قرآنية ، وحديثية ، وأدبية= مثال يحتذى .

ـ دراسات متميزة فى تقريب منهج التذوق عند شاكر .

ـ دراسات نظرية وتطبيقية لمحمد الأمين الخضري ، ومحمود توفيق قائمة على التذوق .

. بحثي حول " المعنى الأم للنص " عند أبى موسى فتح باب تصور خطوات المنهج المقترح لتحليل النصوص فى ضوء علوم الإعجاز " علم المفردات علم مشتبه النظم ، علم المناسبة " تجربة نحو الهدف.

ـ بحث د/ عبد الباقي يوسف ، بتحليل ميمية المتنبي فى ضوء " المعنى الأم " خطوة على الطريق.

. بحث د/ حسين إبراهيم ، بتحليل ميمية علقمة الفحل فى ضوء " المعنى الأم " خطوة على الطريق.